العلاقات الخارجية لمملكة ميتاني
١٥٥٠- ١٢٦٠ ق.م.

المدرس الدكتور عماد شاكر أحمد
قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة صلاح الدين

المستخلص

مملكة ميتّاني من أبرز ممالك الشرق القديم خلال الألف الثاني ق.م، إلى جانب المملكة الحثية المجاورة، والمملكة المصرية البعيدة. وكان صراعها الأساسي مع المملكة الحثية بحكم التجاور الجغرافي والأطماع التوسعية للطرفين. ولم يتوقف الصراع بينهما حتى العقود الأخيرة قبيل انهيار مملكة ميتّاني في أواسط القرن الثالث عشر ق.م، ثم انهارت المملكة الحثية بعيد ذلك بعقود قليلة أيضاً.

تميزت المملكة الحثية بسياستها التوسعية، وإصرارها على احتلال شمالي سورية، والتغلغل نحو الجنوب، ورغبتها في الوصول إلى الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. وكانت تمتلك جيشاً ضخماً مؤهلاً لتحقيق تلك الأهداف. ومع ذلك صمدت مملكة ميتّاني إزاءها، وواجهت وصدّت حملاتها، بل توسعت غربي مناطقها المركزية الأساسية، نحو غربي الفرات حتى خليج اسكندرون في شمالي الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. ولا شك أن التحالف الميتّاني-المصري، والأزمات الاقتصادية والاضطراب الداخلي في معظم أنحاء المملكة الحثية كانت عوامل ساعدت الميتّانيين على تحقيق أهدافهم.

الكلمات المفتاحية: الميتانيين ، الحثيين . مصر القديمة ، الآشوريين ، الشرق الأدنى القديم .

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٠٧/٢٣ **تاريخ القبول: ٢٠٢٤/١٠/١٠**

The Foreign Relations of the Kingdom of Mitanni 1550-1260 BC

Dr. Imad Shaker Ahmed
Department of History / College of Arts / Salahaddin University

Abstract

The Kingdom of Mitanni was one of the most prominent powers in the Ancient Near East during the second millennium BC, alongside the neighboring Hittite Kingdom and the distant Egyptian Kingdom. Its primary conflict was with the Hittites, due to their geographical proximity and mutual expansionist ambitions. This rivalry persisted until the final decades before the collapse of Mitanni in the mid-13th century BC, followed shortly by the fall of the Hittite kingdom. The Hittites were known for their expansionist policies, their focus on occupying northern Syria, pushing southward, and their desire to control the eastern Mediterranean coast. They had a large, well-trained army to pursue these objectives. Despite this, the Kingdom of Mitanni successfully resisted Hittite incursions, defended its territories, and even expanded westward beyond its core regions, reaching the western Euphrates and the Gulf of Iskenderun on the northern coast of the eastern Mediterranean. The Mitanni-Egyptian alliance, combined with internal crises and economic instability in the Hittite kingdom, were key factors in the Mitanni's ability to achieve these goals.

Keywords : The Mitannians, the Hittites. Ancient Egypt, Ancient Near East, Fourteenth Century B.C .

Received: 06/06/2024 **Accepted: 18/07/2024**

المقدمة

تُعدّ مملكة ميتّاني من أبرز ممالك الشرق القديم خلال الألف الثاني ق.م، إلى جانب المملكة الحثية المجاورة، والمملكة المصرية البعيدة. وكان صراعها الأساسي مع المملكة الحثية بحكم التجاور الجغرافي والأطماع التوسعية للطرفين. ولم يتوقف الصراع بينهما حتى العقود الأخيرة قبيل انهيار مملكة ميتّاني في أواسط القرن الثالث عشر ق.م، ثم انهارت المملكة الحثية بعيد ذلك بعقود قليلة أيضاً.

تميزت المملكة الحثية بسياستها التوسعية، وإصرارها على احتلال شمالي سورية، والتغلغل نحو الجنوب، ورغبتها في الوصول إلى الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. وكانت تمتلك جيشاً ضخماً مؤهلاً لتحقيق تلك الأهداف. ومع ذلك صمدت مملكة ميتّاني إزاءها، وواجهت وصدّت حملاتها، بل توسعت غربي مناطقها المركزية الأساسية، نحو غربي الفرات حتى خليج اسكندرون في شمالي الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. ولا شك أن التحالف الميتّاني-المصري، والأزمات الاقتصادية والاضطراب الداخلي في معظم أنحاء المملكة الحثية كانت عوامل ساعدت الميتّانيين على تحقيق أهدافهم.

من الصعوبات التي واجه الباحث في هذا البحث هو قلة المصادر الاساسية التي لم يحصل عليها ولم يصلنا من مناطق بلاد ميتّاني الحورية إلا القليل من المصادر التاريخية الكتابية المتعلقة بتاريخ المملكة، لذا يجد الباحث نفسه مضطراً للاعتماد على مصادر خارجية أوردت أخباراً عن المملكة وطبيعة علاقاتها مع المملكتين الحثية والمصرية؛ كالمصادر الكتابية الحثية والأكّدية والمصرية القديمة. ولم تسفر التنقيبات الأثرية، حتى الآن، عن تأكيد اكتشاف وَشّوكاني عاصمة المملكة التي يرجح أنها في تل فخيرية بجوار مدينة رأس العين/سرى كانييه السورية، كما أن الآراء متباينة في تحديد موقع تَئيدو العاصمة الثانية للمملكة.[١]

يهدف هذا البحث إلى توضيح طبيعة علاقات مملكة ميتّاني بالقوى السياسية الكبرى آنذاك، وفق منهج وصفي تحليلي للأحداث التاريخية، واعتماداً على المصادر الكتابية المكتشفة، والمراجع العلمية التي تناولت طبيعة العلاقات بين تلك الممالك، وهي كثيرة جداً.

ويتكون البحث من مقدمة ومدخل ومحاور عديدة تتناول تأسيس ونهضة مملكة ميتاني وبدية الصراع بين المملكة الميتانية والحثية إضافة إلى الثورة في حلب والتوسع الميتاني في الغرب وبعدها تناول البحث التحالف الميتاني مع مصر القديمة في القرن ١٤ ق. م والمحور الأخير تم ذكر إنقسام المملكة وانهيارها على يد الآشوريين في أواسط القرن ١٣ ق.م وأخيرا تم إرفاق البحث بخاتمة تتناول النقاط الأساسية التي توصلت إليها موضوع البحث .

١- مدخل

لا تفيد المصادر الكتابية المتوافرة بمعلومات كافية لتوضيح الظروف التي أحاطت بنشأة مملكة ميتّاني في شمالي بلاد الرافدين، وتحديداً ضمن الإطار الجغرافي المصطلح على تسميته في الدراسات الحضارية القديمة بتسمية "مثلث الخابور"؛ أي الجزيرة السورية العليا، المحصورة بين مجرى نهري الخابور ودجلة، حتى مدينة الحسكة جنوباً، وكانت حدود المملكة

الشمالية تجاور بلادي إشُوّا وأَلْشي (شمالي مدينة ديار بكر في تركيا). أما من الناحية التاريخية فقد كانت بدايتها في نهاية القرن السابع عشر أو في النصف الأول من القرن السادس عشر ق.م.[٢] ويُعرف عنها أنها تميزت بسمتين بارزتين؛ هما أن اللغة الحورية كانت هي السائدة فيها، بينما كان جميع حكامها يحملون أسماء غير حورية، ويُفترض أنها هندوآرية.[٣]

لقد كانت منطقة مثلث الخابور موطناً أساسياً للحوريين منذ نشأة مملكة أوركيش فيها منذ أواسط القرن الثالث والعشرين ق.م،[٤] وظل وجودهم متميزاً هناك حتى أواخر القرن الثامن عشر ق.م؛[٥] كما يتضح من نصوص أرشيف ماري،[٦] وأرشيف شبت إنليل،[٧] ولذلك كان من الطبيعي أن يستمر الوجود الحوري في تلك المنطقة رغم غياب دورهم القيادي، وأن يشكلوا الأساس السكاني الشعبي للمملكة الناشئة.

أما ظاهرة طبيعة أسماء الملوك غير الحورية فقد تعود إلى أن مجموعات مدنية هاجرت من المناطق الجبلية المحيطة إلى مناطق الحوريين المركزية السهلية، بعد انهيار مملكة شمشي أدد الأول القوية الواسعة في أواسط القرن الثامن عشر ق.م، وظهور أزمات اقتصادية. وقد تمتعت بالخبرات القتالية العسكرية، وتربية الخيول واستخدامها في القتال، فاستنهضت الحوريين من جديد، وأسست المملكة. ووجدت بين أولئك المهاجرين جماعات كانت تتحدث بلكنة هندو جرمانية؛ وفي الأصح بصيغة موغلة في القدم من الهندو آرية.[٨]

وذهب فان كوبّن إلى أن مؤسسي المملكة كانوا مجموعات مدنية من أحفاد مهجّرين كان إشمي دجن (ابن شمشي أدد الأول ١٨٠٩-١٧٧٥ ق.م) قد نقلهم من مناطق في جبال زاكروس.[٩] ويبدو أن أولئك المهجرين الذين أشار إليهم فان كوبّن كانوا من جبال كردستان التي تشكل الجزء الشمالي من سلسلة جبال زاكروس، لأن نفوذ إشمي دجن لم يكن يتجاوز كردستان إلى مناطق أبعد.

ولذلك كله توصف في البحوث العلمية بأنها "مملكة ميتّاني الحورية"، وقد جمعت بين كيانات سياسية حورية صغيرة كانت قائمة بعد انهيار مملكة شمشي أدد الأول، في مناطق متفرقة من شمالي بلاد الرافدين، وما يجاورها؛ مثل: آبوم، إيلانصورا، كَخَت، أَشْنَكّوم، أَشْلَكّا، إلخت، تَلخايوم.[١٠]

أشرنا إلى الإطار الجغرافي الأساسي للمملكة، ولكنها توسعت وامتدت بمرور الزمن ضمن نطاق ثانٍ، يتضمن مقاطعات مستقلة في حكمها، ولكنها خاضعة لنفوذ الملك الميتّاني وقراراته، ويمتد شرقاً حتى أَرْبَخا (كركوك) ونوزي (يورغان تبه، جنوب غربي كركوك) وسفوح جبل زاكروس، ويجاور كيزّوفتنا (مناطق شمالي أضنه في تركيا) في الشمال الغربي، وممالك في سوريا الداخلية تابعة للنفوذ المصري في الجنوب الغربي، وبلاد بابل في الجنوب الشرقي. (راجع الخريطة المرفقة في نهاية البحث)

٢- نهضة مملكة ميتّاني (القرن ١٦ ق.م)

لا نجد في المصادر المتوافرة إشارات مباشرة عن بدايات نهضة المملكة، وإنما تلميحات إلى تنامي قوتها في مواجهة المملكة الحثية. فثمة إشارات قليلة متناثرة في مصادر عهد الملك الحثي خانتيلي (١٥٩٠-١٥٦٠ ق.م) تبين أنه كان عازماً على الحفاظ على التأثير الحثي في شمالي سورية؛ كالسابق. وفي هذا السياق قام بحملات وصلت إحداها إلى كركميش.[١١] ومن المرجح جداً أنها كانت موجهة ضد الحوريين، ولكن مدى نجاح هذه الحملة غير معروف.[١٢]

قلت ثروات بلاد الحثيين، ولم تعد مناطق الأطراف تدعم الملك بالقوات، وألمّت بها كوارث عديدة، فاعتبر الشعب ذلك عقاباً إلهياً بسبب الغدر بالملك السابق. واستغل الحوريون هذه الأوضاع، وتغلغلوا في أراضي المملكة نحو عاصمتها، وأوشكوا على احتلالها، قبل أن يتم ردهم.[١٣]

شهدت المملكة الحثية بين حوالي (١٥٦٠-١٥٢٥ ق.م) اضطرابات وتمردات وأزمات اقتصادية، وكثرت الاغتيالات حول وراثة العرش، حتى تولى الحكم تيليبينو (١٥٢٥-١٥٠٠ ق.م) الذي بدأ عهده بوضع حد لذلك، فأصدر مرسومه الشهير لتنظيم الوراثة ووضع قانونٍ له.[١٤] ونجح في ترسيخ النظام والوئام داخل بلاده، وتجديد النفوذ والسلطة الملكية نسبياً. ويبدو أن أوضاع المملكة الحثية السياسية والاقتصادية لم تستقر خلال القرن التالي أيضاً، حيث حكم آنذاك ستة ملوك، لا نعرف كثيراً عن الأحداث في عهودهم.

استفادت مملكة ميتّاني من تلك الأوضاع في المملكة الحثية، وازادت قوة بانضمام قوى حورية عديدة إليها، وراحت تنهض بقوة، وتتهيأ للتوسع غربي الفرات، حيث كان كثيرون من سكان المملكة قد هاجروا إلى هناك، وانتشروا في مناطق حلب وألالاخ، لكن ميتّاني كانت تتهيب تجاوز المصالح المصرية التي بدأت تظهر بوضوح في عهد الملك تحتمس الأول (١٥٢٨-١٥١٠ ق.م) منذ بداية توليه الحكم.[١٥] لكن ذلك ضعف في عهد خلفائه، حتى توقفت تماماً في عهد الملكة حتشبسوت (١٤٩٠-١٤٨٦ ق.م).[١٦]

٣- بداية الصراع بين المملكتين: الميتّانية والحثية

يرجح أن المملكة منسوبة إلى (ميتّا) اسم أحد الحكام البارزين الأوائل،[١٧] ولا نعرف عنه شيئاً. أما أول ملك ميتّاني تذكره المصادر فهو كيرتا، ثم ابنه شُتّرنا (الأول)، وقد جاء ذكرهما في نقش كتابي مدون على أختام أسطوانية تعود إلى زمن تالٍ لهما، من أواخر القرن الخامس عشر ق.م، ويبدو أنهما كانا معاصرين للملكين الحثيين ختوشيلي الأول (١٦٥٠-١٦٢٠ ق.م) ومورشيلي الأول (١٦٢٠-١٥٩٠ ق.م).[١٨]

ورث ختّوشيلي الأول عرش المملكة من أبيه أو جدّه لابارنا الذي كان له الفضل في إظهار قوة المملكة وتطوير عاصمتها خَتّوشا. وقد تابع ختّوشيلي جهوده في فرض نفوذه على مناطق شمالي سورية، فاحتل ألالاخ،[١٩] ونهب أورشوم شمالي حلب،[٢٠] وكان هدفه من ذلك هو القضاء على ملك حلب الذي كان يقود تحالفاً يضم عدداً من حكام سورية الشمالية، ومعظمهم حوريون.[٢١]

ولعل أحد الملكين الميتّانيين هو المقصود في التقرير الذي يتحدث عن حملة ختوشيلي إلى بلاد أرزاوا في جنوبي الأناضول، بعد ذلك بسنوات معدودة، حيث استغل فرصة انشغال الجيش الحثي هناك، وتغلغلت قواته في بلاد الحثيين من الشرق والجنوب، واستسلمت له مدن كثيرة. وقد أقرّ ختوشيلي بذلك، إذ ورد على لسانه ما يأتي:

"في السنة التالية؛ سرتُ بحملة ضد بلاد أرزاوا، وسلبتُ منها أبقاراً ومواشي. ولكن لدى عودتي؛ تغلغل العدو القادم من بلاد خانيجَلْبَت (= ميتّاني)[٢٢] في بلادي، وسقطت أمامه البلدان كلها، مدينة خَتّوشا وحدها بقيت لي".[٢٣]

هذا ما جاء في النص المدوّن باللغة الأكدية، أما في النسخة المرادفة المدونة باللغة الحثية فقد استبدل "بلاد خانيجَلْبَت" فيها بـ"بلاد الحوريين". ولا شك في أن التسميتين تشيران إلى بلاد ميتّاني؛ كما شاع في نصوص كثيرة بعد ذلك.

وبشكل عام؛ يمكن اعتبار هذه الأحداث بداية الصراع العسكري بين المملكتين الميتّانية والحثية، وقد هدأ بعد ذلك لظهور مشكلات عديدة ضمن المملكة الحثية، لم يقدّر ختّوشيلي تأثيرها الشديد إلا عندما صار على فراش الموت، " فقد كان أبناؤه قد تمردوا ضده، وطُردوا. وكان اختياره ابن أخيه خلفاً له قد أثار أو أسهم في التمرد في عاصمته... تبناه ومنحه اللقب الملكي تابارنا، لكنه كان أعمى عن أخطاء ابن أخيه حتى أدرك أخيراً أن الشاب ليس قادراً على تولي الدور المنوط به" وقد وُصف كالآتي: "كان هذا الشاب كريه المنظر، لم يذرف الدموع قطّ، بلا شفقة، بارداً وعديم الرحمة". نفاه من العاصمة بسلام، ومع اقتراب وفاته سارع ختّوشيلي إلى تعيين حفيده مورشيلي وريثاً للعرش.[٢٤]

إن النصوص الكتابية التي تعود إلى عهد مورشيلي الأول قليلة، وترد معظم أخباره في مصادر تالية، ويتضح فيها أنه حقق الوحدة والاستقرار في بلاده؛ على الأقل خلال المرحلة الأولى منه. اهتم بالسيادة في مناطق كيزّوفتنا في الجنوب الغربي، وسعى إلى التحضير لحملات جديدة على سورية، ولا سيما حلب للانتقام لوالده من أهلها، وقد حقق ذلك فاحتلها ودمرها وأسر منها كثيرين نقلهم إلى عاصمته،[٢٥] وضمن بذلك ظهيره لدى السير في حملته الشهيرة نحو بابل واحتلالها لفترة قصيرة بالتحالف مع الكاشيين (١٥٩٥ ق.م). وبذلك اكتسب مكانة وهيبة زائدتين في المنطقة. وربما يكون التحالف الحثي-الكاشي ساعد أيضاً في مواجهة التهديد الدائم المتمثل في التوسع السياسي والعسكري للحوريين، في كل من سوريا والأناضول.[٢٦]

بعد وقت قصير من عودته ظافراً محملاً بالأسلاب من بابل وحلب اغتاله خانتيلي، زوج أخته، واستلم العرش.[٢٧]

٤- الثورة في حلب، والتوسع الميتّاني في الغرب (القرن ١٥ ق.م)

كانت ميتّاني على وفاق دائم مع مملكة يمخاد (حلب)، وتعترف بسيادتها في شمالي سورية، وتتفق معها في مواجهة الخطر الحثي، ولذلك أدركت أن ضعفها بعد الاحتلال والدمار في عهد مورشيلي الأول سيترك فراغا يستفيد منه الخصوم الحثيون. فبدأت مرحلة التوسع الكبير نحو غربي الفرات في عهد الملك بَرَتَرْنا (النصف الثاني من القرن الخامس عشر ق.م).

كانت حلب ما تزال تحت حكم السلالة الأمورية القديمة فيها، وعادت الحركة العمرانية إليها، ولكن الوضع فيها لم يكن مستقراً تماماً، ولذلك اندلع فيها تمرد بعد وفاة ملكها إيليم إيليمّا، بدعم من الملك الميتّاني بَرَتَرْنا، واضطر أفراد الأسرة الحاكمة للفرار إلى إيمار.[٢٨] يصف ابنه إدريمي ما جرى، وما تلاه، بشيء من التفصيل في نص مدون باللغة الأكّدية على تمثاله المكتشف في ألالاخ، يعدّ مصدراً مهماً لمعرفة الأحداث التاريخية خلال تلك الفترة.[٢٩] يروي ادريمي خبر التمرّد الذي حصل في مقر حكم أبيه إيليم إيليمّا، وخضوع المدينة لحكم المملكة الميتّانية، فاضطر للهروب مع أسرته إلى أخواله في مدينة ايمار، ولكنه لم يعجب بالعيش بينهم، لشعوره بعدم التقدير، فرحل مع حاشيته وأسرته إلى بلاد كنعان، عبر البادية، حتى وصل إلى مدينة أمّيا،[٣٠] وفيها التقى بأناسٍ من حلب ومدن أخرى تابعة لمملكة يمخاد، تجمعوا حوله، وصار زعيمهم مدة سبع سنوات. ثم يذكر أنه قام خلال ذلك بصناعة السفن، ونظم جيشاً، وسار بحراً إلى بلاد موكيش المجاورة لألاخ في الجنوب.

قام بَرَتَرْنا الملك الميتّاني باتصالات معه، وتم الاتفاق على تعيينه حاكماً على بلاد ألالاخ وموكيش، وعقد معه معاهدة يقر فيها بالتبعية لمملكة ميتّاني. ويذكر أنه شارك الحوريين في حربهم على الحثيين، وأنه احتل سبع مدن حصينة لهم، ونهب كثيراً من ممتلكاتهم، كما يذكر أنه بنى قصراً لنفسه. ويذكر في خاتمة النص أنه حكم ثلاثين سنة. وكان ابنه تِشوب نيراري يساعده في إدارة شؤون البلاد، ولم ترد أخبار عنه بعد وفاة أبيه، وتولى الحكم ابنٌ أخر له يدعى نقميبا، عاصر الملك الميتّاني الجديد شاوشتتر، وظل تابعاً مخلصاً له.

تابع شاوشتتر (نحو ١٤٢٥-١٤٠٠ ق.م) جهوده في المحافظة على المملكة الواسعة، التي باتت القوة الكبرى الثانية في المنطقة، بعد المملكة المصرية. فقد سيطر على بلاد آشور، ومنع محاولات الحثيين للتوسع في بلاده، وسيطر على مملكة كيزّوفتنا ذات الأهمية الاستراتيجية في الشمال الغربي، وامتدت المملكة خلال عهده بين الساحل الشمالي للبحر الأبيض المتوسط (مملكة ألالاخ)، وسفوح جبال كردستان؛ عند أرْبْخا (كركوك).[٣١]

أثار هذا التوسع الميتّاني المصريين فقام تحتمس الثالث (١٤٨٦-١٤٣٦ ق.م) بحملات عدة إلى سورية،[٣٢] حيث وصل في ١٤٧٢ ق.م إلى شمالي سورية، قرب الفرات، وفرض سيادته على الحكام المحليين. لم يطل ذلك فقد استعاد شاوشتتر نفوذه هناك، وتوسع في شمالي سوريا من جديد، بل سيطر على تونيب[٣٣] وقادش[٣٤] في وسطها أيضاً.[٣٥]

٥- التحالف الميتّاني- المصري (القرن ١٤ ق.م)

تميزت المملكة المصرية في مطلع القرن الرابع عشر ق.م عن المملكتين الميتّانية والحثية، من حيث عظمة مكانتها السياسية وضخامة قوتها العسكرية، واستقرار الأوضاع الداخلية فيها، ولذلك كانت المحور الأساسي لدائرة الأحداث وتحركات الحكام في المنطقة، يهابونها ويسعون إلى التحالف معها، ويكونون حذرين إزاءها لدى اتخاذ أية خطوة عسكرية. وكان الخطر الحثي يشغل اهتمام البلاط الميتّاني دوماً، ويترقبه بحذر شديد، ولا يجد وسيلة أفضل من تقوية العلاقات مع مصر القوية التي تفرض نفوذها على مناطق واسعة من بلاد الشام، وغير بعيدة عن مناطق المملكة الحثية أيضاً.

كان يحكم مصر في مطلع القرن الملك تحتمس الرابع (١٤٠١-١٣٩١ ق.م) الذي صاهر الملك الميتّاني أرتتما الأول (حوالي ١٤٠٠-١٣٨٠ ق.م) بالزواج من ابنته (موت إم ويا)، وتحالف معه، ونظم الحدود المشتركة بينهما في سورية. وكانت حدود مناطق السيادة المصرية تمتد في المناطق الساحلية، أكثر من الداخلية، وتصل حتى أوجاريت المركز التجاري المهم. أما في وادي العاصي فكانت الحدود في منطقة سهل حمص شمالي قادش (تل النبي مند، بجوار القصير قرب حمص) وشرقي أراضي مملكة أمورو، بدءاً من مناطق مصياف تقريباً.[٣٦]

وتحسنت العلاقات بين مصر وميتّاني أكثر من السابق في عهد ابنه أمنحتب الثالث (١٣٩٠-١٣٥٢ ق.م)، الذي حكم زمناً طويلاً، عاصر خلاله ثلاثة أجيال من ملوك ميتّاني. ولعل ذلك ارتبط بأنه كان يمتّ بصلة القربى إليهم جميعاً، وذلك من جهة أمه الميتّانية وهم:[٣٧]

١- أرتتما الأول، جدّه.

٢- شُتّرنا الثاني (نحو ١٣٨٠-١٣٦٥ ق.م) خال أمنحتب الثالث الذي أرسل إليه ابنته كِلو خبا زوجة، في سنة حكمه الأولى (١٣٨٠ ق.م). وتتضح العلاقات الممتازة بين ميتّاني ومصر من خلال قيام شُتّرنا بإرسال تمثال الإلهة شاووشكا التي كانت تُعبد -بشكل رئيس_ في نينوى، ويُعتقد بمقدرتها الفائقة على الشفاء،[٣٨] إلى الفرعون عندما تناهى إلى سمعه خبرُ مرضه. ويُرجح أن شُتّرنا هو الذي استطاع أن ينتزع من الحثيين بلاد إشُوّا الجبلية الواقعة في مناطق الفرات الأعلى، التي كانت تحت نفوذهم زمناً طويلاً.[٣٩]

٣- تشرتا (نحو ١٣٦٥-١٣٣٥ ق.م) ابن خال أمنحتب الثالث، الذي يتوافق عهده مع "عصر العمارنة"،[٤٠] وهو مرسل جميع الرسائل الميتّانية إلى آخت آتون[٤١] (العمارنة ١٧-٢٩) ورسالة إلى ملوك بلاد كنعان (العمارنة ٣٠).[٤٢]

كتب تشرتّا إلى أمنحتب الثالث تسع رسائل منها، يعلمه في الأولى (العمارنة ١٧)[٤٣] بما حصل بعد موت أبيه، فقد تم اغتيال أخيه، ولكنه لم يرض بذلك وانتقم. يقول:

"عندما جلستُ على عرش أبي، كنت (ما أزال) صغيراً. و أُخْتي ارتكب فعلاً غير لائق ببلادي، وقتل سيّده. ولهذا السبب فهو لم يترك لي مجالاً لعلاقة حسنة مع كل من يحبّني. ولكني أيضاً لم أكن مقصّراً إزاء تلك الأفعال غير اللائقة التي ارتُكبتْ في بلادي، حيث قتلتُ الرجالَ قاتلي أَرْتَشُمارا أخي، مع كل من ينتمي لهم (بصلةٍ ما). لأنك كنت ذا علاقة حسنة مع أبي، لذلك كتبتُ وقلتُ لك (ما جرى)، كي يسمع أخي بها، ويبتهج. كان أبي يحبّك، ولذلك كنت أيضاً تحبّ أبي، و أبي بدافع الحبّ (هذا) أعطاك أختي. ومَنْ غيرُك كان (يقف) مع أبي مثلك؟! (العمارنة ١٧: ١١-٢٩)

كما يعلمه بأنه قام بحملة ضد الحثيين، وأخرى مضادة باءت بالإخفاق. ويؤكد له رغبته في إعادة توثيق العلاقات بين المملكتين، كما كانت في عهد أبيه، ويرسل هدايا له ولزوجته الميتّانية كِلو خِبا، أخته.

وله رسالة وصلتنا مهشمة، للأسف، لا تتضح فيها سوى كلمات متفرقة (العمارنة ١٨).[٤٤] ويؤكد له في رسالة أخرى (العمارنة ١٩)[٤٥] ضرورة استمرار العلاقات الحسنة بين المملكتين إلى الأبد، ويبدي موافقته على طلبه الزواج من إحدى بناته، يقول له:

"عندما أرسل أخي رسوله ماني؛ هكذا قال أخي: أحضرْ لي ابنتك لتكون زوجتي وسيدةَ بلاد مصر. لم أزعج قلب أخي، وقلتُ بكل مودّةٍ: طبعاً، بالتأكيد. والتي يتمنّاها أخي عرضتها على ماني، ورآها. عندما رآها مدحها جداً. سأدعهم يحضرونها إلى بلادك بسلام. ليت الإلهين شاووشكا وآمون[٤٦] يجعلانها مماثلة لما في قلب أخي" (العمارنة ١٩: ١٧-٢٤)

وفي رسالة تالية (العمارنة ٢٠)[٤٧] يعده بتنفيذ كل ما جاء في الرسالة التي أرسلها مع رسوله ماني، وخاصة رغبته في الزواج من ابنته. ولكنه لم ينته من إعداد تجهيزات العروس بعد، لأنه يريد أن تكون متميزة. ويعبر عن سعادته وتفاؤله بمدى التفاهم والتحالف بين المملكتين، فيقول:

"وسأنفّذ كلمات أخي التي جاء بها ماني كلها، في هذه السنة. أما الآن فسوف أعطي أخي زوجته التي ستكون سيّدة بلاد مصر، وسينقلونها إلى أخي. ستصير بلاد خانيجَلْبَت (ميتّاني) وبلاد مصر، في ذلك اليوم، بلاداً واحدة" (العمارنة ٢٠: ١٤-١٧)

ثم نقرأ في الرسالة (العمارنة ٢١)[٤٨] ما يوحي بأن وافق على الزواج، إذ يخاطبه فيها بـ "ختني الذي أحبّه، والذي يحبّني"، ويصف نفسه له بـ "حموك"، ثم يقول:

"لأخي الذي أحبّه أعطيتُ ابنتي لتكون زوجته. ليت الإلهين شيميجا[٤٩] وشاووشكا يسيران أمامها. ليتهما يجعلانها مماثلة لما في قلب أخي. ليت أخي يبتهج في ذلك اليوم. ليت الإلهين شيميجا وشاووشكا يمنحان أخي بركةً وفيرة وبهجةً غامرة. ليتهما يباركانه. وليتك يا أخي تكون حيّاً إلى الأبد. (العمارنة ٢١: ١٣-٢٣)

وقد خصص تُشرتّا رسالتين طويلتين، كُتبت كل منهما في أربعة أعمدة (حوالي ٢٥٠+٢٩٠ سطراً) لعرض هدايا الزفاف التي أرسلها مع ابنته العروس تادو خُبا (العمارنة ٢٢، ٢٥).[٥٠] ويبدو أنه أرسل مع موكب العروس تمثالاً للإلهة الحورية شاووشكا،[٥١] وتمنى أن يتم تكريمها بشكل أكبر من تكريمها خلال زيارتها إلى مصر في زمن أبيه (العمارنة ٢٣)[٥٢]، وكتب إليه يقول:

"ليت الإلهة شاووشكا سيدة السماء تحمينا، أخي و أنا، مئة ألف سنة. وليت سيدتنا تمنح كلينا سعادة كبيرة. ودعنا نتصرّف كما تأمل (مّنا). هل الإلهة شاووشكا إلهتي (وحدي)، وليست إلهة أخي (أيضاً)؟!" (العمارنة ٢٣: ٢٦-٣٢)

وتشكل رسالته التالية (العمارنة ٢٤)،[٥٣] وهي الوحيدة المكتوبة باللغة الحورية ضمن مراسلات العمارنة، أطول نص معروف من اللغة الحورية (في أربعة أعمدة، و٤٩٥ سطراً)، وأهم وثيقة في مجال فهم بنية اللغة وقواعدها ومفرداتها. أرسلها تشرتّا إلى أمنحتب الثالث، بعد زمن قصير من إرسال ابنته تادو خِبا إليه للزواج، وتهدف إلى تأكيد الرغبة في المحبة المتبادلة بين الملكين، والعلاقات الحسنة بين البلدين، وعدم الاهتمام بكلام الوشاة، والتعاون العسكري ضد الأعداء، بل التعاون في التمنيات كلها، يقول له:

"أما الأمور التي نتمنّاها لنفسينا فليت أحدنا يحققها للثاني، فيما بيننا، بشهامةٍ وأسلوب مناسب جداً" (العمارنة ٢٤: العمود الأول ٨٠-٨٢)

وأعلمه أنه استلم بفرح المهر الذي جاءه هدية، وفرح به، وأراد مشاركة فرحه وإعلانه، يقول:

" لقد جاء ماني رسول أخي. عندما أُحضرت الهدايا – المهر الذي أرسله أخي إليّ كهدية – وعندما قدّمها ماني جمعتُ كل (سكان) بلادي، وكان هناك ضيوفي كلهم، وقلت لماني: كل الأشياء التي أرسلها أخي، كل مَحافظ الرُقم التي طلب أخي نقلها إلي سليمة. المحافظ المختومة يجب أن تُكسر كلها، وتدقق، وتعلن الهدايا" (العمارنة ٢٤: العمود الثاني ١٤-٢٤)

ويكرر الحديث عن وحدة البلدين، يقول: "إننا متحدان مع بعضنا، لذلك فإن البلاد الحورية والبلاد المصرية متحدتان، كأنهما بلاد واحدة، وتتساندان. أنا مثل سيّد البلاد المصرية، وأخي مثل سيّد البلاد الحورية. وكذلك كل سكان هذين البلدين مثلنا، مثل الحكام فيهما" (العمارنة ٢٤: العمود الثاني ٦٨-٧٣)

وبالمقابل يطلب منه أن يعلن في بلاده عن الهدايا التي أرسلها مع ابنته العروس، يقول:

"والآن، عندما تأتي زوجة أخي، عندما يتم إظهارها لأخي، ليتهم يدثّرونها كجزءٍ مني، ويظهرونها كقطعة من لحمي. وليت أخي يجمع كل البلاد. وليت كل البلاد الأخرى، والضيوف الموجودين، وكل الرسل يكونون حاضرين. وليتهم يظهرون لأخي الهدايا المخصصة له، ويعلنون كل شيء أمام أخي" (العمارنة ٢٤: العمود الثالث ٢١-٢٨)

يبدو أن موكب العروس الميتّانية وصل مصر، ولكن الملك المصري كان على فراش الموت، ثم توفي قبل أن يتم الزواج، فبرزت مشكلة تمكنت تي أرملته (الكبرى) من حلّها؛ إذ زوجت الأميرة الميتّانية التي كانت ستكون ضرّة لها من ابنها الملك الجديد أمنحتب الرابع/أخناتون (١٣٥٢-١٣٣٦ ق.م).[٥٤] وكتبت رسالة إلى تشرتّا تدعو إلى أهمية استمرار التحالف بين المملكتين في المرحلة الجديدة أيضاً، فردّ عليها تُشرتّا مهنّئاً مؤيداً، بل راح يذكّرها بمحبته للمرحوم زوجها، ويعد بأنه سيضاعف محبته للملك الجديد. (العمارنة ٢٦)[٥٥]

وتبادل الملكان الرّسل والهدايا، وكتب تشرتّا ثلاث رسائل إلى صهره أمنحتب الرابع في بدايات حكمه يعبّر فيها عن محبّته ورغبته في استمرار التحالف بين المملكتين، وعن ثقته بالدور الإيجابي للملكة الأم تي في ذلك، وضرورة الاعتماد عليها في معرفة حقيقة العلاقات الودية بين المملكتين (العمارنة ٢٧-٢٩).[٥٦] ولكن الملك الميتّاني يبدو مزعوجاً في رسالته الأخيرة الطويلة ١٩٠ سطراً إليه (العمارنة ٢٩)، فالهدايا الذهبية التي وصلته خيبت آماله، فقد كانت قليلة جداً مقارنة بما كان يتلقاه في زمن أبيه، يقول:

"المهر الذي أرسله نيمّوريا[٥٧] أبوك كان بلا حدود، كان بعلوّ السماء والأرض. إنني لم [أقل]: لن أعطيها [ابنتي]، بل أرسلت خامَشّي [رسول] أخي، بشكل عاجل، إلى نيمّوريا. وفي ثلاثة شهور، بسرعة فائقة، [أعاده إليّ. وأرسل معه] أربعة أكياس مليئة بالذهب، ناهيك عن الحليّ التي أرسلها أبوك بشكل منفصل" (العمارنة ٢٩: ٢٣-٢٧)

ولذلك عاد إلى طلب القطع الذهبية التي كان أبوه قد وعد بإرسالها، وطالب بإطلاق سراح رسله الذين يحتجزهم، كما فنّد إشاعات وافتراءات قيلت عنه. وتعبيراً عن نواياه الصادقة أعلمه بأنه عاقب أر تشوب وأسالي الحوريين اللذين ارتكبا جريمة في مصر، ونفاهما إلى مكان بعيد، بل هو مستعد لتنفيذ عقوبة أقسى بحقّيهما إن ارتأى الملك المصري ذلك.

ولكن العلاقات بين المملكتين توقفت نتيجة عزوف الملك الجديد عن الاهتمام بالشؤون الخارجية، وانصرافه إلى الاهتمام بالفكر الديني الجديد الأخناتوني الذي تبناه، وسارت أوضاع المملكة المصرية نحو الانهيار بدءاً من سنة حكمه الثانية عشرة (١٣٤١ ق.م). وفي هذه الأثناء سعى الملك الآشوري آشور أُبَلّط الأول إلى توثيق علاقاته مع مصر للتخلص من النفوذ الميتّاني، ولكنه لم يلق تجاوباً (العمارنة ١٥، ١٦). وقد استغل حكام المدن في بلاد الشام الإهمال المصري، وصاروا يخططون ما يتناسب مع الوضع الجديد، وبرزت في هذه الأثناء أهمية مملكة أمورّو[٥٨] وملكها عبدي أشيرة (؟- ١٣٤٥ ق.م) الذي أراد سيطرته على مناطق الساحل السوري-اللبناني، ودخل في حرب طويلة مع مملكة جُبلا المجاورة،[٥٩] وقد استنجد ملكها رب هدّا بالملك المصري في عشرات الرسائل، من دون جواب. ولعل زيارة الملك الميتّاني تشرتّا إلى بلاد أمورو تأتي في هذا السياق، وتشير إلى رغبته في مدّ نفوذه إلى هناك، مما دفع ملك جُبلا إلى إعلام القصر الملكي المصري، يقول:

"..... ملك بلاد ميتّاني زار بلاد أمورّو، وهو يقول: ما هذه البلاد (الجميلة)! بلادك واسعةٌ! ليت ملك بلاد مصر يرسل إليّ مندوبه، فيحتلّها له" (العمارنة ٩٥: ٢٧-٣٣)

ولكن الأوضاع بدأت تتبدل في المنطقة بشكل عام، وبرزت القوة الحثية في عهد الملك شوبيلوليوما الأول (١٣٤٣-١٣٢٣/١٣٢٢ ق.م).

٦- انقسام المملكة حتى انهيارها في أواسط القرن ١٣ ق.م

تأثرت مملكة ميتّاني بالتحول العام في مصر، وأضحت وحيدة في مواجهة الخطر الحثي، ولاسيما مع تولي شوبيلوليوما الأول حكم المملكة الحثية آنذاك، ولم يعد هناك ما يردعه عن مهاجمة أراضي مملكة ميتّاني، بل الأنكى من ذلك أنه نجح في كسب فريق من الأسرة الحاكمة فيها.

ركز شوبيلوليوما جهوده العسكرية في مطلع عهده على إنهاء مملكة ميتّاني. أخفق في تحقيق النصر خلال حملته الأولى إليها، ثم نجح في الثانية في إخضاع قبائل بلاد أزّي،[٦٠] وعقد معها تحالفاً لحماية جيشه من الخلف. ثم احتل إشوّا وسار جنوباً نحو العاصمة الميتّانية وشوكاني ودخلها ونهبها، وعبر الفرات نحو الغرب لمحاربة كيانات سياسية في شمالي سورية كانت تخضع للنفوذ الميتّاني، وأبرزها نُخَشّي (بين حلب وحماة)، بل وصل حتى بلاد أب (دمشق) وجبال لبنان (الحرب الحثية – السورية الأولى ١٣٤٣ ق.م). ودفع هذا الحدث حكام عدد من ممالك المدن السورية الموالية لمصر إلى تغيير مواقفها وإعلان قطع علاقاتها –التي كانت متنهية عملياً– مع مصر، والتحول إلى التحالف مع الحثيين، وأبرزها كنزا / قادش. وكان ذلك هو هدف شوبيلوليوما، والخطوة الأولى في برنامجه الذي تحقق بسرعة خلال الحرب الحثية – السورية الثانية (١٣٤٢-١٣٣٩ ق.م) التي شكلت منعطفاً جديداً في تاريخ المملكة، حيث سيطر على معظم مناطق سورية الشمالية والوسطى، وتفرغ للقضاء على مملكة ميتّاني التي باتت منقسمة داخلياً.[٦١]

ذكرنا سابقاً أن تشرتا انتقم من قاتلي أخيه الأكبر أرتشّمارا في بداية عهده. ويبدو أن أبناء زعيمهم أُتْخي استمروا يؤكدون انتمائهم إلى السلالة الحاكمة وحقهم في وراثة العرش. واشتد الانقسام السابق في المملكة بمرور الزمن، بحيث أضحت مملكتين، شرقية مركزها تئيدو في الشمال الشرقي، وغربية مركزها العاصمة التقليدية وشوكاني. وأصبح أرتتما الثاني الحاكم في تئيدو ندّاً قوياً، بدعمٍ من الآشوريين تحت حكم ملكهم أشور أوبلّط الأول (١٣٥٣-١٣١٨ ق.م).

أغضب ذلك الملك الحثي شوبيلوليوما، وتقدم للتدخل، فحاصرت قواته مدينة كركميش، ذات المكانة الاستراتيجية المتميزة، ثم احتلتها، وعيّن على حكمها ابنه بيّشيلي الذي تلقّب هناك بالاسم الحوري شَرّي كُشُخ، كما احتل حلب ومناطقها، وعيّن ابنه الكاهن تيليبينو على حكمها. وبعد أن فقد تشرتّا الجزء الواقع غربي الفرات من مملكته قام أحد أبنائه باغتياله (١٣٣٥ ق.م)، ولكنه لم يستطع الحفاظ على كيان المملكة.

قام **شترنا الثالث** ابن الحاكم في تئيدو باحتلال العاصمة وشوكاني بمساعدة حلفائه، وأعلن نفسه ملكاً على عرش ميتّاني. ونُقلت كنوز القصر الملكي إلى آشور، وتشتتت القوات العسكرية الميتانية. مما أغضب الملك الحثي أكثر، واستغل فرصة لجوء شَتّي وازا أحد أبناء تشرتا الهاربين إلى بلاده بعد محاولة اغتياله كأبيه، ووثق علاقته به بأن زوّجه إحدى بناته، وأمر ابنه الحاكم في كركميش بدعمه لاستعادة العرش الميتّاني. يبدو أن شَتّي وازا تمكن من إعادة احتلال المدن المهمة في مملكة ميتّاني، ومن تهدئة الأوضاع نسبياً فترة. وفي هذه المناسبة فرض عليه شوبيلوليوما عقد معاهدة، وحُدّدت فيها ميتّاني كمملكة خاضعة لحكمه، ولكن في ظل السيادة العليا للملك الحثي.[٦٢]

وهكذا ترسخ واقع تقسيم ميتّاني إلى شرقية وغربية، ضمن إطارين صغيرين في منطقة مثلث الخابور-دجلة، في الجزيرة السورية العليا؛ وتحت حماية المملكتين الحثية والآشورية. وتم دمج جميع المقاطعات الميتّانية غربي نهر الفرات في المملكة الحثية، وصارت المقاطعات الواقعة شرقي دجلة تابعة للآشوريين. وبدأت القوتان منافسة شديدة على السيادة على هذه المنطقة.

ساءت أوضاع المملكة الحثية في عهد الملك مورشيلي الثاني (١٣٢١-١٢٩٥ ق.م)، فتمردت بلاد ميتّاني، ولم يجد الملك وسيلة لمنع ذلك سوى الدعاء. يقول في إحدى تقاريره السنوية:

"أيتها الآلهة! ارحمي بالبلاد مرة أخرى، فهي منهكة بالوباء من جهة، ومن جهة أخرى بالتمرد وانفصال المقاطعات التي تدور في فلك بلاد ميتّاني وبلاد أرزاوا. ... الآن! فلتنتقم الآلهة مرة أخرى، وترسل الوباء، والتمرد، والمجاعة، وحمّى الشرّ إلى بلاد ميتّاني وبلاد أرزاوا".[٦٣]

ويتضح في نقوش الملك الاشوري أدد نيراري الأول (١٢٩٥-١٢٦٤ ق.م) أن ميزان التفوق صار لمصلحة الآشوريين الذين هيمنوا على منطقة شمالي بلاد الرافدين كلها، وبقي هناك حكام حوريون ورثة الحكم الميتاني، مثل شتّوارا الأول وابنه وازاشتّا يدفعون الجزية السنوية لهم، لعقود أخرى.[٦٤]

جاء خبر القضاء التام على مملكة ميتّاني في نقش للملك الآشوري نفسه، يقول فيه:

"بعده؛ ثار ابنه وازاشتّا وتمرد عليّ، وارتكب أعمالاً عدائية. سار إلى بلاد ختّي (الحثيين) لطلب العون، ختّي قبلت رشوة منه ولكنها لم تساعده. بالأسلحة القوية للإله آشور، سيدي، وبدعم من الآلهة: آن، إنليل، إيا، سين، شمش، أدد، عشتار، نرجال، الآلهة ذات القوة المطلقة، الآلهة المرعبة، سادتي؛ قمتُ باحتلال تئيدو مدينته الملكية العظمى، أماسكّو، كخت، شورو، نَبولا، خُرّا، شُدوخو، وَشّوكاني. سلبتُ ممتلكات تلك المدن، ذخائر أسلافه، كنز قصره، وجلبتها إلى مدينتي آشور".[٦٥]

الخاتمة

كانت المملكة الحثية الخصم الرئيس لمملكة ميتّاني طوال مدة وجودها، لا تريد لها أن تستمر في الوجود، فيبذل ملوكها كل جهودهم لاحتلالها. ولعل أكثر ما كان يدفعهم إلى ذلك هو طمعهم في السيطرة على سوريا الشمالية والداخلية التي كان الميتّانيون يتوسعون فيها بمرور الزمن.

وقد أخفقت في تحقيق هدفها، بسبب تماسك ميتّاني الداخلي وتنامي قوتها خلال القرن السادس عشر ق.م، وسيطرتها على شمالي سوريا حتى الساحل الشمالي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرن الخامس عشر ق.م، بينما لم تكن الأوضاع مستقرة في المملكة الحثية، حيث تكثر فيها الاضطرابات والتمردات والأزمات اقتصادية، وكثرة الاغتيالات حول وراثة العرش فيها.

وبذلك باتت مملكة ميتّاني الحورية تشكل القوة السياسية الكبرى الثانية في المنطقة، بعد المملكة المصرية، وقد أثار التوسع الميتّاني مصر، فقام تحتمس الثالث (١٤٨٦-١٤٣٦ ق.م) بحملات عدة إلى شمالي سورية لإظهار قوته ووضع حد للنفوذ الميتّاني. ولكن ذلك لم يؤد إلى الصدام بين القوتين؛ بل إلى التحالف في مطلع القرن الرابع عشر ق.م، ومن ثم ردع الحثيين تماماً. فقد كانت ميتّاني تدرك أنها لا تستطيع مواجهة القوة العسكرية الضخمة لزمن طويل، فتلجأ إلى الحملات الخاطفة في

وقت تكون المملكة الحثية فيه تمر بأزمة سياسية أو اقتصادية، وهكذا نجحت في التوسع غرباً، ولكنها ظلت تتخوف من ردة فعل حثية مفاجئة تنهي المكتسبات التي حققتها، وقد تكون مدمرة لها، ولذلك ضمن هذا السياق جاء تحالفها مع مصر.

شهد عصر العمارنة (١٣٦٠-١٣٣٦ ق.م) ازدهار العلاقات الميتّانية المصرية، وتعزز ذلك بتبادل الهدايا الثمينة، وبزواج ثلاثة ملوك مصريين من أميرات ميتّانيات. ولكن العلاقات بين المملكتين توقفت نتيجة عزوف الملك أمنحتب الرابع/أخناتون عن الاهتمام بالشؤون الخارجية، وانصرافه إلى الاهتمام بالفكر الديني الجديد، مما فسح المجال أمام الحثيين والآشوريين للتدخل في شؤون ميتّاني وإضعافها.

بعد اغتيال الملك تشرتّا بيد أحد أبنائه في ١٣٣٥ ق.م؛ اشتد الانقسام الداخلي في مملكة ميتّاني، وأضحت قسمين، قسم شرقي مركزه مدينة تئيدو في الشمال الشرقي، وقسم غربي مركزه العاصمة التقليدية وشوكاني. واشتد الصراع بينهما، وتطلب أن يحتمي كل منهما بإحدى القوتين، حتى خضعت جميع المقاطعات الميتّانية غربي نهر الفرات للمملكة الحثية، وصارت المقاطعات الواقعة شرقي دجلة تابعة للآشوريين، وبذلك أضاع الحوريون مملكتهم بأنفسهم.

لا شك أن هناك تفصيلات أخرى بشأن علاقات مملكة ميتّاني الخارجية لا نعرفها بعد، بسبب الاعتماد الأكبر في معلوماتنا على المصادر غير الميتّانية، لأن الآثار المادية والكتابية الميتّانية المكتشفة ما تزال قليلة غير كافية لفهم كثير من الأحداث والتطورات.

الأمل معقود على ازدياد النشاط الأثري في مناطق مملكة ميتّاني المختلفة، ولعل النشاط التنقيبي المتميز في إقليم كردستان العراق يشكل خطوة صحيحة في هذا الاتجاه، ولعل اكتشاف آثار مدينة ميتّانية مهمة في كمونه (زاخيكو) يكون بداية لصفحات جديدة من تاريخ المملكة.[٦٦]

خريطة توضيحية

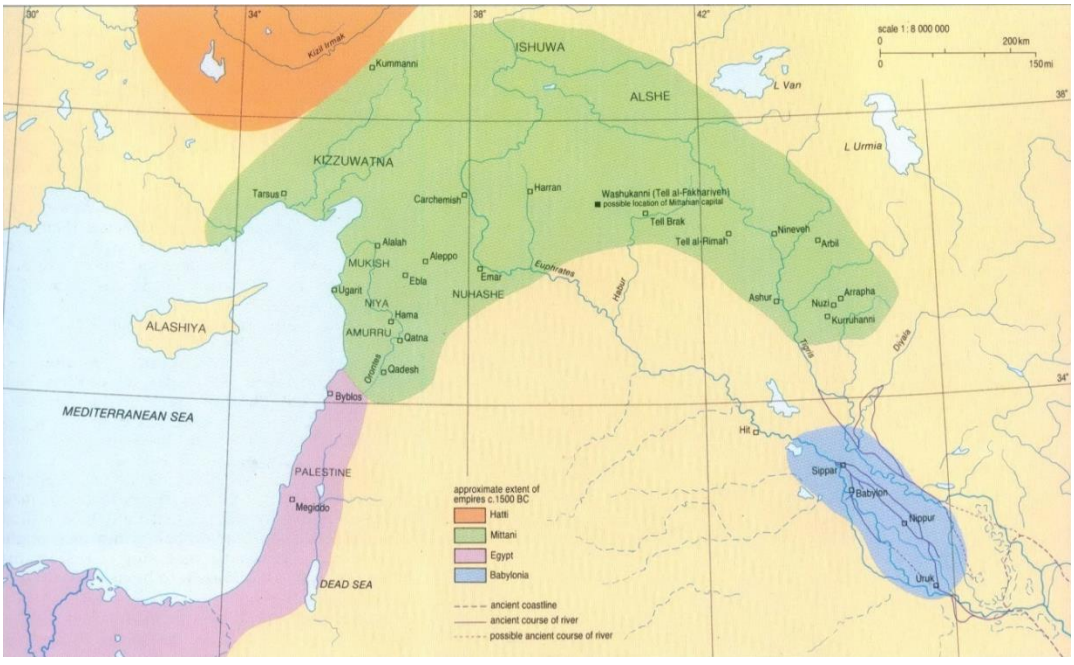

مملكة ميتاني في أوج توسعها، حوالي ١٥٠٠ ق.م (باللون الأخضر)

Roaf, Michael 1990 Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East. Facts on Files, Inc., New York, p. 134.

الهوامش

(١) يُرجح أن تئيدو تطابق تل احمدي/حميدية الواقع جنوبي مدينة قامشلي السورية، وتجري فيه تنقيبات أثرية سويسرية منذ ١٩٨٤. ولكن الباحثة الألمانية كارين رادنر ترى أنها تطابق موقع أوج تبه في الشمال، بين ديار بكر وبسمل في تركيا. راجع:

Mayer, W. Taide oder Waššukanni? Name und Lage der Hauptstadt Mitannis. Ugarit Forschungen 18,1986,p. 233.

Kaelin, Oskar, Tell al-Hamidiyah/Ta'idu? Residenzstadt des Mitanni-Reiches,2013, p. 184.

Radner K., Schachner A. From Tushhan to Amedi. Topographical Questions concerning the Upper Tigris Region in the Assyrian period,2001, pp. 729-776.

(٢) للمزيد من آراء الباحثين حول تاريخ نشأة المملكة، راجع:

de Martino, Stefano, The Mittani State: The Formation of the Kingdom of Mittani. in: E. Cancik-Kirschbaum – N. Brisch – J. Eidem, Constituent Confederate Conquered Space, Berlin,2014, pp. 61-74.

(3) **Novak, Mirko**, Upper Mesopotamia in the Mittani Period. Archéologie et Histoire de la Syrie I, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden,2013, p. 347.

(٤) أوركيش تل موزان، قرب عامودا في الجزيرة السورية. كشفت عنها بعثة أثرية أمريكية بإدارة جورجيو ومارلين بوتشيللتي، تعمل هناك منذ ١٩٨٤. للمزيد، راجع: **حاج درويش، نضال محمود,** مملكة أوركيش الخورية (تل موزان)، دراسة تاريخية أثرية، منشورات دار، قامشلو,٢٠١٧.

(٥) **إسماعيل، فاروق,** الحوريون في بلاد آبوم خلال العصر البابلي القديم، مجلة النقوش والرسوم الصخرية، هيئة الآثار العامة – عمان، العدد الأول،٢٠٠٧, ص ٨١-١١٦.

(٦) تل الحريري، على الضفة اليمنى لنهر الفرات قرب دخوله الأراضي العراقية. كشفت عن مدينة ماري بعثة أثرية فرنسية منذ ١٩٣٣، وهي مركز مملكة امورية مهمة. من أهم مكتشفاتها أرشيف كتابي ضخم باللغة الأكدية، يقدم صورة شاملة عن طبيعة الحياة الداخلية والعلاقات الخارجية. للمزيد؛ راجع: **بارو، أندريه,** ماري. ترجمة رباح نفاخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق,١٩٧٨.

(٧) تل ليلان، جنوب شرق قامشلي. كشفت عنها بعثة أمريكية بإدارة هارفي وايس، تنقب هناك منذ ١٩٧٩. للمزيد، راجع: **إسماعيل، فاروق,** شُبَت إنليل "تل ليلان" حاضرة الجزيرة السورية في القرن ١٨ ق.م، دار الزمان، دمشق,٢٠١٩؛ **إسماعيل، فاروق,** الوثائق الأكدية المكتشفة في شبت إنليل (تل ليلان)، دار الزمان، دمشق,٢٠٢١.

(٨) **فيلهلم، جرنوت** , الحوريون. تاريخهم وحضارتهم، ترجمة وتعليق فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب،٢٠٠٠,ص ٤٦-٥٢. وهناك رأي يستبعد الحكم عليها بأنها جماعات هندو آرية العرق، اعتماداً على أسماء عدد من الملوك، من دون الشعب، وأسماء بعض المعبودات الهندو آرية الواردة في معاهدة الملك الميتّاني شَتّي وازا مع الملك الحثي شوبيلوليوما الأول (النصف الثاني من القرن الرابع عشر ق.م) فقط. وبدلاً من ذلك ترى الباحثة إيفا فون دسّوف أنهم يمثلون طبقة اجتماعية ثرية إقطاعية، وليس جماعة عرقية، احتكوا بالهندو آريين في زمن ما، ومكان ما، وبطريقة غير معروفة بعد. راجع:

von Dassow, E. State and Society in the Late Bronze Age Alalaḫ under the Mittani Empire, Bethesda,2008, 77-86.

(9) **Van Koppen, F. 2004** The Geography of Slave Trade and Northern Mesopotamia in the Late Old Babylonian Period, in: H. Hunger, R. Pruzsinsky, Mesopotamian Dark Ages Revisited, Osterreichische Akademie der Wissenschaften, Denkschriften der Gesamtakademie, Bd. 32, Wien, p. 23.

(١٠) **إسماعيل، فاروق**, الحوريون في بلاد آبوم، ٢٠٠٧,ص ٨٦.

(١١) تقع أطلال كركميش بجانب بلدة جرابلس، عند دخول نهر الفرات إلى سوريا.

(12) **Bryce, Trevor 2005**, p. 100.

(13) **Hoffmann, Inge 1984**, p. 21.

(14) **Hoffmann, Inge 1984.**

(15) **Breasted, J. H. 1906** Ancient Records of Egypt. Vol. II, The University of Chicago Press, Chicago,1906, pp. 34-35.

(16) **Bryce, Trevor 2005**, p. 116.

(17) **Wilhelm, G. 1994** Mittan(n)i. A, RlA VIII, p. 290.

(18) **Novak, Mirko 2013**, 348; **Bryce, Trevor 2005** The Kingdom of the Hittites, New Edition. Oxford Universitz Press. p. XV.

(١٩) اكتشفت آثارها في موقع تل عطشانه، جنوب شرقي مدينة أنطاكيا في تركيا، قرب الحدود مع سوريا. جرت فيه تنقيبات أثرية بريطانية فيه بإدارة ليونارد وولي، منذ ١٩٣٧-١٩٤٩، كشفت خلالها عن أساسات قصور وبيوت سكنية، وأعمال فنية متنوعة، وقطع فخارية كثيرة من نمط فخار نوزي الحورية، وأرشيف باللغة الأكدية، تعود إلى مرحلتين تمتدان بين أواخر القرن الثامن عشر ق.م وأواخر القرن الرابع عشر ق.م. راجع: **وولي، ليونارد**, ألالاخ مملكة منسية، ترجمة: فهمي الدالاتي، وزارة الثقافة، دمشق,١٩٩٢. ثم استؤنفت فيه التنقيبات من قبل جامعة شيكاغو الأمريكية، ثم جامعة مصطفى كمال في أنطاكية بتركيا بإدارة أسليهان ينر، وما تزال مستمرة. راجع: https://en.wikipedia.org/wiki/Alalakh

(٢٠) يعتقد أن أورشوم/وارشوّا تقع على الفرات، شرقي مدينة غازي عنتاب في تركيا. راجع:

del Monte, G. F.- J. Tischler, Die Orts- und Gewässernamen der hethitischen Texte. Répertoire Géographique des Textes Cunéiformes 6, Dr. Ludwig reichert Verlag, Wiesbaden,1978,p. 475.

أما مدينة حلب السورية فقد احتفظت بصيغة اسمها، مع إبدال الخاء حاء، وقد كانت أنذاك مركز مملكة أمورية مهمة في شمالي سورية، تدعى يَمْخاد، راجع: **شيت، أزهارهاشم**, الصلات الأشورية مع منطقة حلب (القرن ١٨ ق.م/ القرن ٧ ق.م، مجلة دراسات موصلية، العدد ٢٨، ٢٠١٠,ص ٦٦.

(٢١) **إسماعيل، فاروق**, الحثيون وحملاتهم على سورية. مجلة دراسات تاريخية، العددان ٨١–٨٢، دمشق،٢٠٠٣,ص ١٩.

(٢٢) بدأ الاسم خانيجَلْبَت يتردد في المصادر الآشورية والبابلية، بدءاً من القرن الخامس عشر ق.م، للدلالة أيضاً على الإطار الجغرافي لمملكة ميتّاني. أما اسم (حوري) فظل محافظاً على دلالته الاثنية. راجع الشواهد في:

Nashef, Kh. 1982 Die Orts- und Gewässernamen der mittelbabylonischen und mittelassyrischen Zeit,1982. p. 117.

(23) **Otten, H.** Keilschrifttexte, MDOG 91,1958, p.87.

(24) **Bryce, Trevor 2005**, pp. 89-90.

(25) **Hoffmann, Inge,** Der Erlaß Telipinus. Carl Winter. Universitätsverlag, Heidelberg,1984. p.19.

(26) **Bryce, Trevor 2005**, p. 99.

(27) **Hoffmann, Inge 1984**, p. 19.

(٢٨) إيمار، حالياً تل مسكنة، على الفرات، شرقي حلب. كانت مركز مملكة ذات موقع استراتيجي يربط بلاد الرافدين بسوريا الداخلية والساحلية. جرت فيه تنقيبات أثرية فرنسية منذ سبعينيات القرن الماضي، ثم استؤنفت من قبل بعثة جامعة حلب، ثم بعثة ألمانية. للمزيد؛ راجع: **جاموس، بسام**, مملكة إيمار في العصر البرونز الحديث (١٦٠٠-١٢٠٠ق.م)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق,٢٠٠٤.

(٢٩) مرعي، عيد ١٩٨٨ ادريمي ملك ألالاخ. مجلة دراسات تاريخية، العدد ٢٩-٣٠، دمشق،١٩٨٤, ص ١٠٣-١٢٦.

(٣٠) ربما تكون أميّا هي عميون الحالية الواقعة ١٥ كم جنوبي طرابلس في لبنان، راجع:

Belmonte Marin, Juan Antonio 2001 Die Orts- und Gewässernamen der Texte aus Syrien im 2. Jt. V. Chr., Répertoire Géographique des Textes Cunéiformes 12/2, Dr. Ludwig reichert Verlag, Wiesbaden,2001, p. 20.

(31) **Novak, Mirko 2013**, p. 348.

(32) **Redford, Donald B.** The Wars in Syria and Palestine of Thutmose III. Brill, Leiden. Boston,2003.

(٣٣) تونيب مدينة تشير أخبارها إلى أنها تقع في وسط سورية، طابقها باحثون مع موقع تل العشارنة، على نهر العاصي، راجع:

Belmonte Marin, Juan Antonio 2001,p. 293.

(٣٤) قادش (أو قدشي، وكذلك كيتزا) اسم الموقع الذي جرت فيه المعركة الشهيرة بين الحثيين والمصريين، تقع حالياً تل النبي مند، قرب حمص. راجع:

Belmonte Marin, Juan Antonio 2001,p. 226

(35) **Astour, Michael C.** Mitanni. In: Redford, Donald B. (Ed.) The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt. Vol. 2, Oxford University Press,2001, p. 423.

(٣٦) **إسماعيل، فاروق**, مراسلات العمارنة الدولية، وثائق مسمارية من القرن ١٤ ق.م، دار إنانا، دمشق، ص ٣٢.

(٣٧) **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**، ص ٣٨.

(٣٨) شاووشكا هي إلهة الجنس والحرب لدى الحوريين، وكان مركز عبادتها الرئيس في مدينة نينوى (تل كوينجق، بجوار الموصل)، راجع: **فيلهلم، جرنوت, الحوريون**، ص ١٠٠.

(٣٩) **فيلهلم، جرنوت, الحوريون**،ص ٦٥.

(٤٠) مصطلح "عصر العمارنة" منسوب إلى موقع العمارنة وأرشيف المراسلات المكتشفة فيه، ويؤرخ بالفترة بين (١٣٦٠-١٣٣٦ ق.م). راجع: **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**،ص ٣٠.

(٤١) آخت آتون هو الاسم القديم لموقع تل العمارنة جنوبي مدينة المنيا المصرية بنحو ٥٠ كم. أمر ببنائها الملك أمنحتب الرابع/أخناتون، ونقل العاصمة من طيبة (الأُقصر) إليها. راجع: **إسماعيل، فاروق ٢٠١٠**،ص ١٣.

(٤٢) **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة** ،ص ٢٠٦.

(٤٣) **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**،ص ١٢٠.

(٤٤) **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**، ص١٢٤.

(٤٥) **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**،ص ١٢٥.

(٤٦) آمون هو إله الخلق الأزلي والرياح لدى المصريين القدماء، ومركز عبادته في طيبة (الأقصر)، راجع: **لوركر، مانفرد** , معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، ترجمة صلاح الدين رمضان، مراجعة محمود ماهر، مكتبة مدبولي، القاهرة،٢٠٠٠,ص ٥٧.

(٤٧) **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**، ص١٢٩.

(٤٨) **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**، ص١٣٣.

(٤٩) شيميجا هو إله الشمس لدى الحوريين. راجع: **فيلهلم، جرنوت, الحوريون**، ص١٠٣.

(٥٠) **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**، ، ص١٣٥-١٦٥.

(٥١) يعتقد أن هدف الزيارة؛ أي نقل تمثال الإلهة إلى مصر، ثم إعادته إلى مقرها في نينوى– كان شفاء الملك المصري العجوز المريض؛ إذ اشتهرت بقدرتها على ذلك. أو أنه أرسل للمباركة والمشاركة في الاحتفالات المهيبة التي أقيمت ترحيباً بالعروس. أما الزيارة السابقة فقد كانت بمناسبة زواج الملك نفسه من كلو خِبا عمّة العروس. **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**،ص ١٤٩.

(٥٢) **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**،ص ١٤٨.

(٥٣) **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**،ص ١٥٠.

(٥٤) **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**،ص ١٨٦.

(٥٥) **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**،ص ١٨٤.

(٥٦) **إسماعيل، فاروق، مراسلات العمارنة** ص ١٨٧-٢٠٥.

(٥٧) نيموريا هو الاسم المصري للملك أمنحتب (أمنوفس) الثالث، ويعني "الإله رع هو سيّد الصدق"، راجع:

Hess, Richard S. Amarna Personal Names. Dissertation Series 9, American Schools of Oriental Research. Eisenbrauns. Winona Lake, Indiana,1993, p.117.

(٥٨) كانت أمورو مركزاً أساسياً للإدارة المصرية، ويقيم في عاصمتها صُمُر (حالياً تل الكزل، قرب صافيتا) مندوب ملكي مصري، وتمتد مناطقها شرقاً وجنوباً بسبب انخفاض ارتفاعات سلسلة الجبال الساحلية هناك، فتقترب من وادي العاصي شرقاً، وتتاخم مملكة قدشي (قادش) جنوباً. راجع: **إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**، ص ٤٩.

(٥٩) جُبْلا هي جُبيل في لبنان، شمالي العاصمة بيروت.

(٦٠) كانت بلاد أزّي تمتد جنوبي طرابزون على البحر الأسود في تركيا، راجع:

del Monte, G. F.- J. Tischler 1978, p. 59.

(٦١) **اسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة**،ص ٤٢.

(٦٢) **فيلهلم، جرنوت, الحوريون**،ص ٧٦-٧٨.

(63) **Gurney, O. P. 1940** Hittite Prayers of Mursili II. The University Press of Liverpool, p. 29.

(64) **Grayson, A. Kirk 1987** Assyrian Rulers of the Third and Second Millennia BC. (To 1115 BC). The Royal Inscriptions of Mesopotamia, Assyrian Periods, Vol. 1, University of Toronto Press,1940, pp. 128-179.

(65) **Grayson, A. Kirk 1987**, p. 136, 15-34.

(66) Puljiz, Ivana et al. 2019 A New Mittani Centre on the Middle Tigris (Kurdistan Region).

المصادر والمراجع

المصادر العربية

١-إسماعيل، فاروق, الحثيون وحملاتهم على سورية. مجلة دراسات تاريخية، العددان ٨١–٨٢، دمشق،٢٠٠٣ .

٢-إسماعيل، فاروق, الحوريون في بلاد آبوم خلال العصر البابلي القديم، مجلة النقوش والرسوم الصخرية، هيئة الآثار العامة – عمان، العدد الأول,٢٠٠٧.

٣-إسماعيل، فاروق, مراسلات العمارنة الدولية "وثائق مسمارية من القرن ١٤ ق. م"، دار إنانا، دمشق,٢٠١٠.

٤-إسماعيل، فاروق, شُبَت إنليل "تل ليلان" حاضرة الجزيرة السورية في القرن ١٨ ق.م، دار الزمان، دمشق, ٢٠١٩.

٥-إسماعيل، فاروق, الوثائق الأكدية المكتشفة في شبت إنليل (تل ليلان)، دار الزمان، دمشق, ٢٠٢١.

٦-بارو، أندريه, ماري, ترجمة رباح نفاخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق, ١٩٧٨.

٧-جاموس، بسام, مملكة إيمار في العصر البرونز الحديث (١٦٠٠-١٢٠٠ق.م)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق, ٢٠٠٤.

٨-حاج درويش، نضال محمود, مملكة أوركيش الخورية (تل موزان)، دراسة تاريخية أثرية، منشورات دار، قامشلو, ٢٠١٧.

٩-شيت، أزهار هاشم, الصلات الأشورية مع منطقة حلب (القرن ١٨ ق.م/ القرن ٧ ق.م)، مجلة دراسات موصلية، العدد ٢٨، ٢٠١٠ .

١٠-فيلهلم، جرنوت, الحُوريون. تاريخهم وحضارتهم، ترجمة وتعليق فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب,٢٠٠٠.

١١-لوركر، مانفرد, معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، ترجمة صلاح الدين رمضان، مراجعة محمود ماهر، ٥٧, مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠.

١٢-مرعي، عيد, ادريمي ملك ألالاخ، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٢٩-٣٠، دمشق، ١٩٨٨.

١٣-وولي، ليونارد, ألالاخ مملكة منسية، ترجمة: فهمي الدالاتي، وزارة الثقافة، دمشق,١٩٩٢.

المصادرالاجنبية

14-Astour, Michael C. Mitanni. In: Redford, Donald B. (Ed.) The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt. Vol. 2, Oxford University Press,2001.

15-Breasted, J. H. Ancient Records of Egypt. Vol. II, The University of Chicago Press, Chicago,1906.

16-Bryce, Trevor, The Kingdom of the Hittites, New Edition. Oxford Universitz Press, 2005.

17-Belmonte Marin, Juan Antonio, Die Orts- und Gewässernamen der Texte aus Syrien im 2. Jt. V. Chr., Répertoire Géographique des Textes Cunéiformes 12/2, Dr. Ludwig reichert Verlag, Wiesbaden,2001.

18-de Martino, Stefano, The Mittani State: The Formation of the Kingdom of Mittani. in: E. Cancik-Kirschbaum – N. Brisch – J. Eidem, Constituent Confederate Conquered Space, Berlin, 2014.

19-del Monte, G. F.- J. Tischler, Die Orts- und Gewässernamen der hethitischen Texte. Répertoire Géographique des Textes Cunéiformes 6, Dr. Ludwig reichert Verlag, Wiesbaden,1978.

20-Goetze, A. On the Chronology of the Second Millennium B.C., JCS 11: 1957.

21-Grayson, A. Kirk, Assyrian Rulers of the Third and Second Millennia BC (To 1115 BC). The Royal Inscriptions of Mesopotamia, Assyrian Periods, Vol. 1, University of Toronto Press,1987.

22-Gurney, O. P. Hittite Prayers of Mursili II. The University Press of Liverpool,1940.

23-Hess, Richard S. Amarna Personal Names. Dissertation Series 9, American Schools of Oriental Research. Eisenbrauns. Winona Lake, Indiana,1993.

24-Hoffmann, Inge, Der Erlaß Telipinus. Carl Winter. Universitätsverlag, Heidelberg,1984.

25-Kaelin, Oskar, Tell al-Hamidiyah/Ta'idu? Residenzstadt des Mitanni-Reiches. In: Wolfgang Röllig, Schriften der Max Freiherr von Oppenheim Stiftung 18, Harrassowitz verlag. Wiesbaden,2013.

26-Mayer, W. Taide oder Waššukanni? Name und Lage der Hauptstadt Mitannis. Ugarit Forschungen 18, 1986.

27-Nashef, Kh. Die Orts- und Gewässernamen der mittelbabylonischen und mittelassyrischen Zeit. Répertoire Géographique des Textes Cunéiformes 5, Dr. Ludwig reichert Verlag, Wiesbaden,1982.

28-Novak, Mirko, Upper Mesopotamia in the Mittani Period. Archéologie et Histoire de la Syrie I, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, 2013.

29-Otten, H. Keilschrifttexte, MDOG 91: 1958.

30-Puljiz, Ivana et al. A New Mittani Centre on the Middle Tigris (Kurdistan Region). Report on the 2018 Excavations at Kemune. Zeitschrift für Orient-Archäologie 12, 2019.

31-Radner K., Schachner A. From Tushhan to Amedi. Topographical Questions concerning the Upper Tigris Region in the Assyrian period, in: N. Tuna, J. Ozturk, J. Velibeyoglu (eds.), Salvage Project of the Archaeological Heritage of the Ilisu and Carcemish Dam Reservoirs. Activities in 1999, Ankara, 2001.

32-Redford, Donald B. The Wars in Syria and Palestine of Thutmose III. Brill, Leiden. Boston,2003.

33-Schwartz, Glenn M. et al. Excavation and Survey in the Jabbul Plain, Western Syria: The Umm el-Marra Project 1996-1997, American Journal of Archaeology, Vol. 104, No. 3, 2000.

34-Van Koppen, F. The Geography of Slave Trade and Northern Mesopotamia in the Late Old Babylonian Period, in: H. Hunger, R. Pruzsinsky, Mesopotamian Dark Ages Revisited (Osterreichische Akademie der Wissenschaften, Denkschriften der Gesamtakademie, Bd. 32), Wien, 2004.

35-von Dassow, E. State and Society in the Late Bronze Age Alalaḫ under the Mittani Empire, Bethesda,2008.

36-Wäfler, M. Taddum, Tidu und Taidu(m)/Tau(m). in: P. Calmeyer et al. (eds.), Beitrage zur Altorientalischen Archaologie und Altertumskunde, Wiesbaden, 1994.

37-Wilhelm, G. Mittan(n)i. A, RlA VIII, 1994.

38-Wilhelm, G. Suppiluliuma and the Decline of the Mittanian Kingdom. in: Pfälzner, Peter and Michel Al-Maqdissi (Ed.) Qatna and the Networks of Bronze Age Globalism, Proceedings of an International Conference in Stuttgart and Tübingen in October 2009, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden,2015.

https://en.wikipedia.org/wiki/Alalakh